وزارة التعليم والعالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 –قالمة–

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ وعلم الآثار

التخصص: التاريخ العام

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام

بعنوان

نظام التعليم وتطوره في المغرب الاسلامي من القرن الأول إلى الخامس هجري/ الثامن إلى الحادي عشر

إعداد الطالب:

صالحي مصطفى

إشراف الدكتور:

خالدي مسعود

الأستاذ	الرتبة	الصفة	جامعة
د/محمد شرقي	أستاذ محاضر – أ–	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
د/ مسعود خالدي	أستاذ محاضر– أ–	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
أ/ أولاد الضياف رابح	أستاذ مساعد– أ–	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية 2013–2014 / 1434–1435هـ

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار لنا الطريق وهدانا إلى ما فيه صلاح في ديننا ودنيانا حمدا كثيرا

والصلاة والسلام على سيد الخلق حبيب القلب محمد صلى الله عليه وسلم.

أهدي كل لحظة مجهود وكل قطرة عرق سالت لتثمر عن هذا العمل المتواضع إلى من

قال الله فيهم:

"وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"

إلى الشمعة التي أضاءت درب حياتي إلى من علمني معنى الحياة إلى حبيب قلبي أبي

الغالي "مسعود"

إلى الإخوة والأخوات وجميع أفراد الأسرة الذين كانوا سبب في توفيقي، إلى شريكة

الدرب الزوجة الكريمة دون أن ننسى نبض القلب البرعمة الصغيرة والبنت العزيزة

"جنان"

وإلى كل الأصدقاء وكل من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي

*** مصطفى ***

شكر وعرفان

أتقدم بكلمة شكر وعرفان للدكتور خالدي الذي كان خير معين في عملي

المتواضع والذي لم يبخل علينا بتقديم النصائح والتوجيهات من أجل تسهيل

إنجاز البحث وأنا أشكره خاصة على صبره وكذلك تواضعه جزاه الله عني

كل خير.

المقدمة:

1- تقديم الموضوع:

تعتبر القرون الهجرية الأولى ذات أهمية بالغة في مجال ازدهار التعليم في بلاد المغرب الاسلامي بصفة خاصة والعالم العربي بصفة عامة هذا التعليم الذي يعتبر من أهم المقومات الحضارية التي تقف عليها أصالتنا وثقافتنا الخالدة.

ونظرا لأهمية التعليم أنداك اهتم به المغاربة اهتماما بالغا وذلك بتسخير كل الامكانيات المادية والبشرية الممكنة آنذاك للوقوف بمجتمع اسلامي مثقف وعارف بكل الأمور الدينية والدنيوية.

وكان تأثر التربية الاسلامية والتعليم في بلاد المغرب بالمشرق يظهر جليا حيث استمدت منه أصولها بدءًا من الفتح العربي كذلك إن المغرب سرعان ما وقع تحت التأثير الأندلسي نظرا للفرق الحضاري الذي كان بين الاندلس والمغرب في القرون الأولى حيث عرفت الأندلس ازدهارا كبيرا ذاع صيته في المجتمع الاسلامي بصفة خاصة والعالمي بصفة عامة.

ومن خلال هذه المذكرة سنحاول أن نبرز نظام التعليم في المغرب الاسلامي بكل أساسياته وفروعه من خلال الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع ضمن مدى زمني ممتد من القرن الأول إلى الخامس هجري/ الثامن إلى الحادي عشر.

2- الاشكالية:

من خلال الموضوع الذي يبدوا بالغ الاهمية في تاريخ المغرب الاسلامي خاصة في القرون الهجرية الأولى نطرح الاشكالية التالية:

- ماهي النظم التعليمية المتبعة في المغرب الاسلامي في القرون الهجرية الأولى؟
- فيما يتمثل أثر التعليم على الحياة الثقافية في المغرب الاسلامي حيث أن هذا التساؤل المركزي بدوره يحمل في طياته أسئلة ثانوية سنحاول طرحها في التالي:

- هل كان التعليم عشوائيا أو تحكمه قوانين ونظم؟
- ما هي أماكن التعليم العامة والخاصة؟
- هب كان للتعليم في المغرب الاسلامي تأثيرات خارجية، ماهي؟
- ما هو أثر التعليم على مختلف العلوم في المغرب الاسلامي؟

تلك الاسئلة وأخرى سنحاول الاجابة عليها في ثنايا هذا البحث.

3- أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتنا لدراسة هذا الموضوع، كونه يتحدث على أهم فترة عرفها تاريخ المغرب الاسلامي حيث تعتبر القاعدة الأساسية للتطور الثقافي والعلمي الذي آل إليه بعد تلك الفترة حيث برز فيها الكثير من العلماء والمؤرخين والمفكرين والفقهاء حيث لا يجب أن نمر مرور الكرام على هذه الفترة وبالخصوص في المجال التربوي والعلمي.

4- محتوى البحث:

لقد استند بحثنا هذا إلى خطة مكونة من ثلاثة فصول، هذه الفصول مقسمة إلى مباحث وسنتعرض إليها في الآتي:

في الفصل الأول نظام التعليم المتبع والذي تضمن خمسة مباحث.

المبحث الأول: عن برامج التعليم وموارده أما مراحل التعليم وطرقه مع الاشراف كانت في المبحث الثاني، أما المبحث الثالث تضمن أنواع ووسائل التعليم وأوقاته، ولقد وضعنا مبحث يخص المدرسين وهو المبحث الرابع: أسماء المدرسين والمتمدرسين واختتمنا الفصل الأول بالامتحانات والشهادات في المبحث الخامس.

أما في الفصل الثاني: والمتمثل في مراكز التعليم احتوى هو كذلك على خمسة مباحث، المبحث الأول: الكتاب والزوايا، أما المبحث الثاني فيتطرق للمساجد بنوعيها الصغيرة والجامعة.

أما المبحث الثالث بعنوان المدارس والمكتبات والمبحث الرابع مساكن الطلبة واختتمتُها بالمبحث الخامس والمتمثل في عمارة المؤسسات التعليمية ومواردها المالية.

أما الفصل الثالث بعنوان أثر التعليم على الحياة الثقافية في المغرب الاسلامي ولقد قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين فقط لتعدد فروع هذه المباحث فالمبحث الأول يتضمن (علم التفسير، القراءات وعلوم القرآن ورسم المصحف، الفقه وعلوم الحديث، علم التاريخ) وعنوان هذا المبحث ازدهار العلوم النقلية أما المبحث الثاني بعنوان تطور العلوم العربية وشمل (الأدب بما فيه من الشعر واللغة)

5- منهج البحث:

لقد اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصف التاريخي لأنه الملائم لسرد هذه الأحداث التاريخية ومعالجتها علميا.

6- صعوبات البحث:

لقد واجهتني بعض الصعوبات والعراقيل والمتمثلة بنقص المادة العلمية المتخصصة بهذه الفترة حيث يدخل موضوع درستنا في سياق دراسات أخرى مما يؤدي بنا إلى الخطأ والخروج عن عمومية موضوعنا.

7- المصادر والمراجع:

لقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع بغية الاجابة على إشكالية البحث كما أهملت المواقع الالكترونية وذلك لدقة الموضوع الذي أعالجه من جهة وجدية ونفاسة التواريخ والمعلومات المراد الحصول عليها لمعالجة هذا الموضوع وهذا ما تفتقره نوع ما مواقع الانترنيت ونذكر بعض المصادر والمراجع التي ساعدتنا كثيرا:

- إسماعيل سامعي: حركة التعليم في المغرب الاسلامي إبان القرنيين 3 -4 هجري.
- عبد العزيز سالم: العمارة الاسلامية في الأندلس وتطورها.
- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى.
- عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والاندلسية.

و إلى جانب الكثير من المراجع والمصادر التي أفادتني في كتابة الموضوع بفضل للدكتور خالدي الذي أمدني بكم هائل منها.

خاتمة الموضوع:

أما في ما يتعلق بالخاتمة فقد حاولت من خلالها أن أجيب على التساؤلات المطروحة في المقدمة وأقدم إجابة على الاشكالية المركزية، مع طرح الرأي وتقديم خلاصات الموضوع واستنتاجاته، فضلا عن مقترحات تفتح أفاق للموضوع.

الفصل الأول: نظام التعليم المتبع

المبحث الأول: برامج التعليم وموارده

المبحث الثاني: مراحل التعليم وطرقه مع الاشراف

المبحث الثالث: أنواع ووسائل التعليم وأوقاته

المبحث الرابع: أسماء المدرسين والمتمدرسين

المبحث الخامس: الامتحانات والشهادات

المبحث الأول: برامج التعليم وموارده

1- برامج التعليم:

لم يكن التعليم في المغرب مقيدا بقوانين تفرضها الدولة وإنما كان حرا لا قيود عليه غير القيود التي يقررها ويخوضها العرف والعادة[1] فكان التدريس أمرا مباحا لكل راغبا في متى وجد في نفسه الكفاءة لمزاولة مهنة التدريس بشرط أن لا يكون ذلك في مسجد من تلك المساجد الجامعة التي لها صفة المساجد الرسمية للدولة، وإلا تطلب الأمر الإذن بالتدريس من القاضي[2] حيث تتشابه مواد التدريس مع ما كان قائما من المناهج في العالم الاسلامي أنذاك وقد تكلم كل من ابن سحنون والقابسي على البرنامج أو المناهج ونضيف إلى كلامه أن القابسي حدد برنامجا للمرحلة الأولى، وهو الأمر الذي ذكر به نقده ابن خلدون حيث أعاد إقتراح القاضي أبو بكر بن العربي في قصة رحلته وهو النظام الذي يخص على تعليم العربية والشعر قبل المواد الأخرى، ذلك أن القرآن يحتاج إلى الفهم، ولكي يتمكن الطفل من ذلك فلابد له من علوم أخرى كالقواعد والشعر والقراءات، ولا تزال هذه الطريقة معروفة ببلاد المغرب، والتي يبدأ فيها بحفظ القرآن الكريم وتتمحور خطوط هذا البرنامج في إعراب القرآن والشكل، والهجاء والخط والقراءة الحسنة بالتوقيف والترتيل كما ينصح المعلم بتلقين الحساب للأهميته، لكنه لا يلزمه إلا إذا رغب في ذلك التلميذ أو وليه ويبدو من هذا ما يلي[3] :

أولا: حرية اختيار مواد التدريس ماعدا الاساسية، وهذا له ايجابيات منها أنه يجعل من الفرد لا يقبل على تعليم موارد تخصص ما إلا إذا كان له موهبة واستعداد ومحبة ورغبة.

ثانيا: مدى مسؤولية الأولياء، ومشاركتهم الفعالة في قيام النظام التربوي والعمل على إنجاحه باقتراحهم حتى مواد التدريس لأبنائهم.

---

(1) ابن خلدون: المقدمة (طبعة الشعب) ص 195.

(2) محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م، ص08.

(3) اسماعيل سامعي: حركة التعليم في المغرب الاسلامي، كلية الأدب والعلوم الانسانية، قسنطينة، 2002، ص102.

ثالثا: مراعات المصالح العامة والاساسيات للمجتمع والفرد في العملية التربوية حيث ينبغي على المعلم في هذا المجال أن يعلمهم الحساب، وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط عليه ذلك، وكذلك الشعر والغريب والعربية وجميع النحو وهو في ذلك متطوع ولا عيب أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فُحش من كلام العرب وأخبارها، أما مواد التعليم العالي فهي كل العلوم كالعلوم الشرعية من تفسير وقراءات وفقه وحديث والعلوم اللغوية، والأدب، والعلوم العقلية والاجتماعية كعلوم الطب الذي كان يُدرّس في بعض المكتبات، كمكتبة بيت الحكمة برفادة والقيروان، والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الكلام، وتتكيف هذه البرامج حسب المذاهب والفرق التي سادت ببلاد المغرب مثل أهل السنة، الأحناف والمالكيين، والخوارج والصفرية والاباضية، والشيعة الفاطمية[1].

[1] إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص 104.

المبحث الثاني: مراحل التعليم وطرقه مع الاشراف

1- مراحل التعليم: كانت المراحل التعليمية في المغرب نوعين:

الأول منه وهو ما يعرف الآن بالتعليم العام. أما النوع الآخر فهو تعليم الصناع وهو ما يعرف الآن أيضا بالتعليم الصناعي[1] وكان للتعليم مرحلتان أساسيتان هما:

أ- المرحلة الأولى: التمهيدية أو الابتدائية:

ومؤسسات هذه المرحلة هي الكتاتيب وتلاميذها الأطفال، والمواد التي تدرس بها تتمحور حول القراءة والكتابة وحفظ القرآن وهي ليست مجانية [2] وتبدأ متى بلغ الطفل سن التميز في الخامسة أو السادسة من عمره وتنتهي عند البلوغ على وجه التقريب من الثالثة عشر أو الرابعة عشر[3].

ب- المرحلة الثانية: العالية أو الثانوية أو الجامعية:

ومؤسساتها المسجد والرباط والمكتبة والمجالس التي تعقد في دور الأمراء والعلماء، وتلاميذها أو طلبتها أكبر سنا وتدرس بها مختلف العلوم الشرعية والعقلية والطبيعية والإنسانية، وهي مجانية[4].

ولقد كانت تيهرت من أهم مراكز التعليم في المغرب خلال القرنين الثاني والثالث ليس لأنها مركز التعليم والدراسات الاباضية فحسب ولكن كانت مركز تعليم المذاهب الأخرى كالمالكية والحنفية والمعتزلة والشيعية حيث كانت الحلقات في المساجد وأكثر من ذلك نجد بعض المشايخ فتحوا بيوتهم مدارس ومعاهد لنشر علوم اللغة العربية وهذا وقد كرس الائمة الرستميون حياتهم لنشر العلم في المجتمع الإباضي وحرصوا على القيام بذلك بأنفسهم لأنهم كانوا في طبيعة العلماء حيث كان العلم شرطا أساسيا لتولي الإمامة[5] فكان بعضهم يقوم بالتدريس في جامع تيهرت: ومسجد جبل

---

[1] محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987، ص08.

[2] اسماعيل سامعي :حركة التعليم في المغرب الاسلامي ابان القرنين الثالث والرابع ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسنطينة، أفريل 2002، ص101.

[3] اسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص 08.

[4] اسماعيل سامعي سامعي: المرجع السابق، ص 101.

[5] أبي الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الاباضية، مكتبة الاستقامة، تونس، 1973م، ص 132.

نفوسة ولم يقف الأمر عند حد التعليم وإنما اشتهروا أيضا في حركة التأليف فيروى أن عبد الرحمان بن رستم كان له ديوان خطب نفيس ذكر الورجلاني أنه راه[1].

أما بالنسبة لدولة الأغالبة فالأثر العلمي البارز الذي يجب الإشارة إليه هو تفوق الدراسات الشرعية وعلى وجه الخصوص الفقه لدرجة أنه أصبح هناك مدرسة فقهية إفريقية إلى جانب مدارس مكة والعراق والأندلس[2].

أما الدولة الفاطمية التي تمكن لها الأمر في عام (297هـ - 908م) بالإطاحة بالدويلات المستقلة في المغرب عموما، وهي الأغلبية والرستمية، بيني مدرار في سجلماسة، والأدراسة في فاس فقد كانت المسيرة العلمية فيها لا تقل عن مسيرتها في عهد الدولة الأغلبية غير أن طبيعة الحياة العلمية في عهدهم اتخذت منحى تمثل في اتجاهين: اتجاه يخدم الفكر والمعتقد الشيعي سواء كان ذلك عن طريق الدراسات الشرعية أو الدراسات الادبية[3].

والاتجاه الثاني هو الاتجاه السني المالكي الذي هدف إلى مقاومة المد الفكري الشيعي.

وعندما فكر الفاطميون في الرحيل إلى مصر وهو ما تحقق لهم فعلا عام (362هـ - 972 م) ظهرت دولة مغربية جديدة وهي الدولة الزيرية الصنهاجية ولقد خطت هذه الدولة نحو التقدم والازدهار العلمي خطوات تعد من أعظم ما شهدته البلاد الافريقية وكانت عاصمتها القيروان وتعد العاصمة الثالثة للثقافة الاسلامية والعربية بعد بغداد وقرطبة وأتاح هذا كله للدولة الزيرية أن تولي اهتمام للعلم والأدب يفوق الوصف حيث ظهر في عهدها أشهر الأدباء والقراء والكتاب الافريقيين[4].

---

(1) محمد عيسى حريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والاندلس

(2) يوسف أحمد حواله: الحياة العلمية في افريقية "المغرب الأدنى" منذ تمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري، ص 110.

(3) علي حسن الخربوطلي: أبوعبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحرينة، 1972م، ص 82.

(4) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، ج2، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، ص 350.

أما بالنسبة للمرابطين والموحدين فقد احتل فيها العلماء والفقهاء منزلة رفيعة في مجتمع المغرب منذ قيامهما[1] ولم يكن التكريم قاصرا على علماء المغرب الأقصى بل رحب بكل العلماء وخاصة علماء الأندلس الذين سارعوا إلى عاصمة المرابطين ليكونوا في ضل ورعاية أمير المسلمين[2].

أما الدولة الموحدية فقد تميزت هي الأخرى بإزدهار الحركة الفكرية، فقد اتصفت الدولة بحبها للعلوم فأولتها اهتمام وعناية أدت لازدهارها وتنوعها[3].

ويتراء لي في هذا القدر من الحديث ما يكفي للدلالة على أن إزدهار الحياة العلمية في المغرب في الفترة موضوع البحث قد واكب ظهور الدولة المستقلة التي رعته وشدت من أزره حتى استوى عوده.

وليس في التعليم الإسلامي في ذلك العصر بوجه عام مرحلة متوسطة أو ثانوية على نحو ما هو متبع الآن وإن كنا لا ندري متى تنتهي تلك المرحله إلى أننا نعرف أن المده المسموح بها للطلبه للسكنى في مساكن الطلبة هي ستة عشر سنة في المغرب وخمسة سنين بأفريقية[4].

أما التعليم الصناعي فلم تكن له مؤسسات تعليمية على نحو ما هو متبع الآن وإنما كان بالممارسة، وذلك لأن الممارسة كانت في نظرهم أتم فائدة في الأحوال الجسمانية المحسوسة، وكان الأولاد الذين يتوجهون للتعليم الصناعي كانوا يتدربون بالتدريج من البسيط إلى المركب، والأول هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون بالكماليات، فأما الضروري مثل الفلاحة والبناء والخياطة والحياكة والتوليد والكتابة والطب وكان أشهرها هو صناعة الصوف والجلد دبغه وخرزه وصناعة الأحذية[5].

---

(1) حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1980م، ص 336.

(2) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع، ترجمة ليفي و نسال، دار الثقافة بيروت 1982م، ص 46.

(3) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 339.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ص 398.

(5) محمد عادل عبد العزيز التربية الاسلامية في المغرب، ص 08.

2- طرق التعليم:

لم يعرف المغرب في المرحلة الأولى من التعليم سوى طريقة التلقين أو التحفيظ[1]. والتي تكون وظيفة المعلم فيها تعليم الصبيان القرآن والنحو والعربية.... وهذه العلوم كلها لفضية تحتاج إلى الحفظ والاستيعاب[2] ويتم التلقين والتحفيظ إما بالقراءة في المصحف أو الألواح أو التلقين عن ظهر قلب.

وكانت الحلقة التي يلتف فيها الطلاب حول أستاذهم في الطريقة السائدة في المغرب في جميع مراحل التعليم حيث يبدأ الشيخ درسه بالبسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم يقرر الدرس ومتى فرغ منه ختمه بقراءة الفاتحة وعين لطلابه موضع الدرس المقبل.

وكان المعلمون في الكتاتيب يحرصون على أن يردد التلاميذ المتحلقون من حولهم القطع المعينة للحفظ بصوت مرتفع ويجودون فيها، فكانت أصوات هؤلاء تنبعث من مختلف الكتاتيب، وكل جماعة تقرأ من القرآن الكريم جزء يختلف عما تقرأه الجماعة الأخرى وبالرغم من ذلك فقد كان المعلم يكتشف الغلطة التي يقترفها التلميذ بين الجماعة كلها فينزل المعلم به عقابا بقضيبٍ يحتفظ به على مقربة منه[3].

أما إذا كان الذنب أكبر من ذلك كالكسل أو إساءة الأدب والإساءة إلى النظام فكانت العلقة هي عقاب التلميذ وكان لكل تلميذ لوح صغير من الخشب وقلم من ريشة الأوز ودواة للحبر، وكان يكتب على اللوح الدرس اليومي فإذا ما تعلمه التلميذ وحفضه حفظا مفروضا أن يضل معه مدى الحياة غسل اللوح ليكتب الدرس الجديد، وعلى الصبيان متابعة التمرن على الكتابة حتى في أيام عطلاتهم الأسبوعية وقد اعتاد المعلمون على استخدام الأمثال ومقاطع الشعر كنماذج لتجويد الخط.

---

[1] التميمي المراكشي: المعجم في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1949م، ص 245.

[2] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، بيروت، 1957م،ص161.

[3] محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، ص 14.

كما كان المعلمون في هذه المرحلة يحرصون أيضا على أن يدربون التلاميذ على إتباع الآداب الإسلامية، ولذلك كان المعلم يهتم بتربية التلاميذ على القواعد التي يجب على المسلم الصالح أن يتبعها[1].

أما التعليم في المرحلة الأعلى من المرحلة الابتدائية فكان يتبع فيه طرق الإقراء أو السماع، والسؤال والمناقشة، وكانت طرق التدريس في تلك المرحلة تتطلب قراءة أحد المتون وشرحه وقد أدت طريقة الإقراء إلى فكرة تقرير كتب معينة على الطلاب يدرسونها وبذلك اقتصر التعليم في تلك المرحلة على مجموعات من الكتب يدور العقل في فلكها، ولا يتجاوزها إلى سواها وانحصرت جهوده في الحفظ والقراءة، وتكرار أقوال السابقين من غير إضافة وتجديد أما بالنسبة للطريقة التي تدرس في هذه المرحلة هي الطريقة الحوارية أي الجدال والنقاش والمناظرة ومن الطريقة الاولى والثانية تكونت مرحلة ثالثة مزدوجة التي عبر عنها عياض بالكلام الطيب مع التعنيف والضرب وإعطاء المتعلم قدر طاقته مع حمله على المواظبة وتحصيل العلم[2].

3- الإشراف:

لم تكن الدولة تشرف على التعليم أو توجهه، ولكنها كانت تراقبه من خلال خطتي الحسبة والقضاء، فالتعليم إذن حر، والمعلمون أحرار، والآباء أحرار هم أيضا في تعليم أبنائهم فلا وجود للإلزامية، إنما كان هناك التزام ذاتي مستمد من الشريعة الاسلامية التي تجعل من طلب العلم فريضة وجهاد ويظهر أن الدولة كانت تتدخل في توجيه التعليم في مرحلته العالية من خلال القائمين به من الشيوخ والأساتذة، وكذا من خلال دروس الوعظ والارشاد في المساجد[3].

---

(1) محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 15-16.

(2) اسماعيل سامعي: حركة التعليم في المغرب الإسلامي، ص 105

(3) إسماعيل سامعي: المرجع نفسه: ص 101.

المبحث الثالث: أنواع ووسائل التعليم وأوقاته

- **أنواع التعليم:** نظرا لاختلاف البيئة الجغرافية والمذاهب الدينية والسياسية، فإن التعليم تنوع وفق التطور الحضاري العربي والاسلامي بربوع المغرب، فكانت توجد أنواع من التعليم هي:

1 التعليم الكُتّابي: يختص بتعليم مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن.

2- التعليم المسجدي: ويختص في الوعظ والإرشاد والعلوم الشرعية عن طريق نظام الحلقات.

3- التعليم الرياضي: تُعلّم في كل العلوم بما فيها علوم التصوف.

4- التعليم المجالسي: وهو يختص بالمناظرات في العقائد والمذاهب والفلسفة وعلم الكلام.....

5- التعليم المذهبي: ويختص بتعليم مبادئ المذاهب مثل المذهب السني والخارجي، والشيعي.

6- تعليم الرياضة: يختص بتعليم الفروسية والسباحة.

7- التعليم التصوفي: يختص بتعليم مبادئ الزهد والتصوف.

8- التعليم العام: وهو الخاص بأبناء العامة.

9- التعليم الخاص: وهو التعليم الخاص بأبناء الأمراء والولاة والأعيان.

10- التعليم المراسلي: المراسلة بالاعتماد على عالم.

11- تعليم الرحلة: الرحلة إلى طلب العلم.

12- التعليم العملي: أو التعليم المهني المباشر[1].

- وسائل التعليم: لقد تعددت وسائل التعليم حسب طبيعته وتطوره حيث كان في البداية لكل تلميذ لوح من الخشب ، وقلم من ريشة الأوز، ودواة الحبر، وكان يكتب على اللوح الدرس اليومي، فإذا ما تعلمه التلميذ

[1] اسماعيل سامعي: حركة التعليم في المغرب الاسلامي، ص 104.

وحفضه حفضا مفروضا أن يظل معه مدى الحياة غسل اللوح ليكتب الدرس الجديد[1] ثم تطورت هذه الوسائل مع مرور الزمن حيث تم في العهد الفاطمي اختراع القلم السيال ، والفرش، والكرسي لمعلم الحلقات، الريشة والالوان لتزويق الألواح والكتب، والورق للاستنساخ، والمصاحف[2].

- **أوقات التعليم:**

يبدو أنه كان للتعليم وقت متفق عليه في أنحاء البلاد الاسلامية يمتد على طول ساعات النهار وجزء من الليل حيث أن هذا التحديد جاء بسبب معايشة وتجربة عكست وضعا جغرافيا وتقاليد اجتماعية وتعاليم الشريعة الاسلامية.

والمغاربة لم يستندوا على هذه القاعدة ففي هذا المجال أورد القاضي عياض أن أبا العباس ابن زرزور الحنفي الذي كان في القيروان رد على سؤال أبي جعفر بن شهر حول دواء الحفض فقال: "**الدرس بالليل والمناظرة بالنهار**"[3]

---

[1] محمد عبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات، ص 189.

[2] النعمان القاضي: المجالس والمسيرات، ترجمة الحبيب الفقي وابراهيم سبوح واليحلاوي ، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، 1978، ص 319.

[3] عياض القاضي: ترتيب المدارك، ترجمة أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1978، ص

المبحث الرابع: أسماء المدرسين والمتمدرسين

- **أسماء المدرسين:**

ويطلق عليهم المعلم أو الأستاذ و الشيخ ويسمى المعلم في المرحلة الأولى المكتبي أو المؤدب، والمعلم أو الأستاذ أو الشيخ في المرحلة العالية، والمعلم كان ومازال العنصر الفعال في العملية التربوية التعليمية، فكان يتحمل أعباء كثيرة منها عبئ مقاومة الوثنية والشرك والكفر بنشر الدعوة الإسلامية وعبئ مقاومة الأمية والجهل بنشر العلم والمعرفة، وعبئ الإصلاح الاجتماعي بنشر الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن.

حيث كانت للمعلم مثل الطالب آداب -أخلاقية المهنة - والآداب معناها الشروط والواجبات أو القواعد المثلى التي يجب أن ينتهجها المعلم لتأدية مهنته على أحسن وجه[1].

- **أسماء المتمدرسين:**

إن محور العملية التربوية التعليمية هو التلميذ والطالب حيث لم يعين سن لبداية التعليم أو إنهائه ولكن يبدوا أن دخول الطفل المرحلة الأولى كان بين الرابعة والخامسة وما يدل على ذلك حفظ التلميذ للقرآن وهو بين سن التاسعة والعاشرة.

وقد ذكر الخطيب البغدادي على سبيل المثال أن الإمام البخاري غادر الكتاب وهو ابن العاشرة[2].

---

[1] السمعاني، عبد الأمير شمس الدين: المذهب التربوي عند ابن جماعة، ص 14.

[2] إسماعيل سامعي: حركة التعليم في المغرب الاسلامي، ص 106.

المبحث الخامس: الامتحان والشهادات

يبدوا أن المغرب لم يعرف الشهادات التي تحمل طابع المعهد العلمي وإنما كان المعروف هو الإجازة التي كانت تمثل ضرورة علمية في الاوساط العلمية.

يحرص عليها العالم لضمان انتشار علمه سليما صحيحا خاليا من التحريف والأغلاط بقدر الإمكان، ويحرص عليها المتعلم لينال علماً مضبوطا لا شك في نسبته إلى صاحبه وليثبت انتماءه[1] إلى عالم موثوق فيه ومن ثم كانت الإجازات عملا شخصيا بحتا من اختصاص الاستاذ وحده ولا صلة له بالمؤسسات التعليمية[2] ثم تطورت فكرة الاجازة في العالم الاسلامي عامة، وتحولت إلى شهادة علمية مهنية في النصف الاول من القرن التاسع هجري لهذا لم تنشر المصادر المغربية التي تمكنت من الوصول إليها إلا الامتحانات والاجازات بكل وضوح ودقة بالنسبة للفترة التي ندرسها عكس المشرقية التي تضبط في تفصيل ذلك وخلاصة القول أن الامتحانات كانت موجودة وصعبة ويتم ذلك بحضور العلماء ولجان الامتحان الذين يقررون منح الاجازة أو الشهادة وهو ما يشبه تقريبا ما يجري اليوم في الدراسات العليا- ماجيستير و دكتوراه-[3] .

---

[1] محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 36.

[2] محمد عبد الرحيم غنيمة: الجامعات، ص 222.

[3] اسماعيل سامعي: حركة التعليم في المغرب الاسلامي، ص 111.

الفصل الثاني: مراكز التعليم.

المبحث الأول: الكتاب والزوايا.

المبحث الثاني: المساجد.

المبحث الثالث: المدارس والمكتبات.

المبحث الرابع: مساكن الطلبة.

المبحث الخامس: عمارة المؤسسات التعليمية ومواردها المالية.

المبحث الأول: الكُتّاب والزوايا

1- الكُتّاب:

أو المكتب وهو موضع الكتاب، والمكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب المكتب موضع التعليم، والمكتب المعلم، والكتاب الصبيان[1] وكانت الكتاتيب في المغرب هي الأماكن التي يتعلم فيها صبية المسلمين مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم [2] أي أن هذه المكاتب تشبه ما نسميه اليوم بالمدارس الابتدائية.

2- الزوايا:

الزاوية مرحلة وسطى بين الكتاب الذي هو مدرسة[3] ابتدائية والمدرسة التي هي معهد ثانوي، فالزاوية تشبه ما نسميه الآن مدرسة إعدادية، والزاوية من حيث الوضع أشبه شيئا بالخانقات الشرقية، وقد زادت انفصالا منذ عصر الموحدين عن الرباط الذي هو لها بمثابة الأمر إذ أن الرباط مؤسسة متعددة الشعب، إحداها شعبة التعليم والتي عرفت بالزاوية حيث كان على نفقتها يسكن الطالب ويأكل ويشرب ويلبس ويتعلم ثم يتحول في الغالب إلى مدرس بها أو بغيرها من الزوايا[4] والزوايا أنواع:

- أولا: الزاوي البسيطة: أي التي لم تنشأ على ضريح أحد الأولياء الصالحين و إنما هي مجموعة من الأبنية المتلازمة منها مبيت الطلبة وهي مكونة من عدة غرف حول صحن كبير والكتاب وغرفة التدريس والمكتبة والمسجد ثم المرافق الازمة، وتكون الاراضي التي حولها حبسا عليها في الغالب للإنفاق منها ومن الهبات، والأعطيات التي تصلها من أهل الخير.
- ثانيا: الزوايا ذات الولي: وهذا النوع من الزوايا ذات الولي التي أنشئت حول ضريح أحد الأولياء.

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، القاهرة، 1883م، ص 193.

(2) الخزناجي: زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق الفردبل، الجزائر، 1922م ،ص 83.

(3) محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب ، ص 39.

(4) المرجع السابق: ص 53.

- ثالثا: الزوايا الطرقية: وهي الخاصة بأصحاب الطرق الصوفية حيث يرددون فيها الأناشيد والأحزاب بالطريقة إلى جانب التعليم.

ويبدوا أن بني مرين اهتموا بتلك الزوايا منذ توليهم السلطة[1]

[1] محمد عادل عبد العزيز التربية الاسلامية في المغرب، ص 40.

المبحث الثاني: المساجد

كانت المساجد في المغرب كسائر بلدان العالم الاسلامي على رأس معاهد التعليم والثقافة، ولم تمنع فكرة إنشاء المدارس أن يبقى المسجد محل تعليم وقد كانت المساجد على نوعين:

1- المساجد الكبيرة الجامعة:

وهي التي تقوم بإنشائها الحكومة وهي تتبعها، وهي التي ترتب لها الأئمة، وتتولى الانفاق عليها، ويقوم بأمرها السلطان أو من يفوض إليه شؤونها كالقاضي الذي ينصب إليها الإمام في الصلوات الخمسة والجمعة والعيدين و الخسوفين والاستسقاء[1]

2- المساجد الصغيرة:

وهي غير تابعة للحكومة فلا دخل لها في إدارتها، ويقوم بإدارة هذه المساجد أهالي الأحياء التي تقع بها، وهم الذين يتولون الإنفاق عليها وترتيب الأئمة للصلاة فيها[2] ولقد اهتم سكان المغرب ببناء المساجد الجديدة، كما اهتموا أيضا بترميم المساجد القديمة واصلاحها وتزويدها باحتياجاتها كما اهتم المرابطون والموحدون ببناء المساجد الجامعة في كل مدينة جديدة بنوها كالمسجد الجامع الكبير الذي بناه السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق في مدينة فاس الجديدة[3]

---

[1] محمد عبد الرحيم غنيمة: الجامعات، ص 239،240.

[2] الماوردي: الأحكام السلطانية، القاهرة، ص 186.

[3] محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 49،50.

المبحث الثالث: المدارس والمكتبات:

كان التقليد في المغرب الأوسط مثل غيره في شمال إفريقيا في هذه الفترة بالذات تعليما محضا على ما يبدوا، كان تعليما ينطلق من الدين وينتهي إلى الدين ونقصد بالدين هنا: الاسلام دون غيره من الديانات الاخرى ومع بروز المذاهب والفرق سيتجلى نوع جديد من التعليم وهو حلقات الدعوة والدعاة السرية أو العلنية حيث كان هنا شيخ يعلم وتلاميذ صغار كانوا أم كباراً يتعلمون مبادئ هذه الفرقة أو هذا المذهب، فعليه التعليم بدايته الأولى انطلقت مع فجر القرن الثاني هجري/ الثامن للميلاد مع قدوم دعاة الإباضية والصفرية والمعتزلة ثم استمرت بعد ذلك مع مذاهب المالكية والحنفية وفي الربع الأخير من القرن الثالث هجري (التاسع ميلادي) برزت الدعوة المسيحية ومجالسها بالمغرب الاوسط واتسعت مشرقا ومغربا والملاحظة أن تيهرت عاصمة الرستوميين قد تكون أبرز وأهم مراكز التعليم في المغرب الأوسط خلال هذه الحقبة لأنه كانت مركز تعليم كل المذاهب حيث كانت الحلقات في المساجد والرحاب وأكثر من ذلك نجد بعض المشايخ فتحوا بيوتهم مدارس ومعاهد لنشر علوم اللغة العربية والحديث النبوي[1].

ولقد كانت هذه الحلقات بمثابة المدارس يتلقى فيها الطلبة العلوم النقلية والعقلية وفي وقت واحد[2].

- **المدارس:**

إن ظهور المدارس بالمفهوم الخاص ذي الأهداف المحددة في المغرب فما زال يكتنفه شيء من عدم الوضوح لقلة النصوص التاريخية في المصادر التي يمكن بواسطتها إماطة اللثام عن هذا الجانب من جوانب التربية الاسلامية في المغرب وقد أدى ذلك إلى انقسام الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع إلى فريقين:

---

[1] محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 3، الكويت 1987، ص 235.

[2] ابراهيم أحمد العدوي: بلد الجزائر تكوينها الاسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو مصرية: القاهرة 1970، ص 92.

فريق ذكروا أن الحكام الموحدين هم أول من أسسوا المدارس في المغرب والأندلس وقسموا المدارس التي أنشئها الموحدون إلى ثلاثة أنواع متخصصة هي:

أولا: المدرسة العامة لتخريج الموظفين وتكوين الإطار الإداري.

وذلك جرى على العادة المألوفة في عموم المغرب، إن كل دولة جديدة تأسس معهدا جديدا لإخراج موظفيها حتى تثق بهم وتثق بسلوكهم الإداري الذي يجب أن يتماشى منسجما مع سياسة الدولة المحدثة[1].

ثانيا: المدرسة الملكية لتعليم الأمراء وكان الغرض من تلك المدرسة إلهاء الأمراء بالتعليم على نهج معين حتى لا يكثر فراغهم فتكثر مطامعهم[2].

ثالثا: مدرسة تعليم فن الملاحة بمدينة الرباط[3].

ولعل هذه المدرسة البحرية هي الأولى من نوعها في العالم الاسلامي[4]

أما الفريق الثاني من الباحثين فقد أنكر على الموحدين تأسيسهم للمدارس في المغرب من مظاهر التقدم العلمي، وقد قام يعقوب أو غيره من ملوك الموحدين بإنشاء شيء من المدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس لكن هذا القول لم يجد الكثير من التأييد في مصادر التاريخ الأخرى الخاصة بالمغرب الاسلامي ولو قام يعقوب أو غيره من ملوك الموحدين بإنشاء شيء من المدارس لبقيت هذه المدارس إلى عصور من خالفهم ومن غير المعقول أن يكونوا قد أسسوا شيئا منها ثم انقرض.

إذ أن المدة بين وفاة هذا الملك الموحدي وقيام الدولة المرينية لا تكاد تبلغ القرن من الزمان، وهي مدة غير كافية لاختفاء هذه المدارس من الوجود تماما.

---

(1) ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ: الدار البيضاء، (1965م – 386هـ)

(2) ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص 143.

(3) ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص 368.

(4) عثمان الكعاك: محاضرات، ص 55.

والظاهرة السائدة في حضارة الاسلام أن أمثال هذه المؤسسات تمتاز في الغالب بطول الاجر والقدرة على البقاء على الرغم من تقلب السياسات لاعتمادها على نظام الوقف في حياتها المالية ولمتانة عمارتها وقوة بنايتها[1].

لكن هذه الأسانيد التي ذكرها الباحث لا نستطيع أن نجعلها فيصلا في القضية خاصة بعد أن نقرأ ما ذكره الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله في كتابه "مظاهر الحضارة المغربية " القسم الثاني والذي يقول فيه :" والقصور الموحدية وكذلك المدارس لم يبقى منها شيء وقد امحى أثرها".

المدرستان التي بناها المنصور، والذي وصفه المراكشي في المعجم بأنه لا مثيل له في الدنيا كل ذلك قد اندثر ولم يبقى منه شيء فما الذي يمنع أن تندثر المدارس هي الأخرى![2].

ومع مرور الزمن ازدهرت المدارس وأخذت أشكال ومبادئ مختلفة مع توالي الدول الاسلامية والحكام والسلاطين ونأخذ في هذا السياق بعض الأمثلة:

أول مدرسة أنشأها بنو مرين في المغرب هي مدرسة الخلفائيين بمدينة فاس سنة (670هـ 1271م)[3]وهي المدرسة التي عرفت بمدرسة الصفارين لأنها أقيمت بالقرب من السوق التي تصنع فيه أواني النحاس الأصفر ولما تم بناؤها عين لها السلطان المدرسين وأجرى على طلبتها النفقة كما أنه زود المدرسة بخزانة كتب.

ولم تكن مدرسة الصفارين هي الوحيدة التي أقامها السلطان أبو يوسف، وإنما أنشأ مدرسة اخرى بمدينة مراكش[4].

ثم جاء السلطان أبو سعيد بن يعقوب بن عبد الحق المريني فبنى في الحي الجديد في مدينة فاس مدرسة فاس

---

(1) محمد عبد الرحيم غنيمة: الجامعات، ص 107-108.

(2) محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 43.

(3) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بولاق 1284هـ)، الجزء07، ص 210.

(4) محمد القاسي: نشأة الدولة المرينية، ص 25.

الجديدة أو مدرسة المدينة البيضاء سنة (720هـ – 1320م) [1].

كما بنى أيضا المدرسة العظمى أو مدرسة العطارين بفاس سنة (723هـ – 1323م) وموضعها بجانب جامع القرويين واشرف على إنشائها الشيخ العالم أبو عبد الله بن قاسم المزوار[2].

كما بنى السلطان أبو الحسن المدرسة العظمى بمدينة سلا قبل أن يبني المدرسة المصباحية بفاس بحوالي 4 أو 5 سنوات وقد كانت تلك المدرسة من المدارس العالية المخصصة في دراسة الطب[3] كما انشأ العديد من المدارس منها من كانت في مكناسة، وضجة وسبتة وأنفى وأزمور والقصر الكبير.

وأنشأ السلطان أو عنان فارس بن أبي الحسن المريني المدرسة العنانية بمدينة فاس سنة (750 هـ – 1349م) وهي من أكبر مدارس المغرب والتي لا تزال باقية حتى اليوم[4].

ويبدوا أنه لم تكن تلك المدارس التي ذكرناها هي كل ما بناه سلاطين بني مرين حيث يشير السلاوي إلى كثرة أثار بني مرين من المدارس فيقال: (وبالجملة فقد كان لبني مرين جنوح إلى الخير ومحبة في العلم وأهله، وتشهد بذلك أثارهم الباقية إلى الآن في مدارسهم العلمية وغيرها)[5].

- **المكتبات:**

يبدوا أن ابتداء تأسيس المكاتب العامة بالمغرب لم يكن في بداية القرون الأولى من الهجرة بل كان في أواخر عهد الموحدين وبالنظر إلى أهمية هذه المؤسسة التعليمية سنعرج على بعضها في الآتي:

لقد كان أبو الحسن الشاري المتوفي في سنة 249هـ أول من أسس مكتبة عمومية بالمغرب حيث أوقف بسبتة خزانة مدرسته وهي أول خزانة وقفت بالمغرب.

---

(1) ابن ابي زرع: الأنيس المطرب، ص 180.

(2) ابن ابي زرع: المصدر نفسه، ص 281.

(3) محمد الفاسي: نشأة الدولة المرينية، ص 30.

(4) محمد عبد الرحيم غنيمة: الجامعات الاسلامية، ص 114.

(5) محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 47.

وكما ذكرنا سابقا حرص سلاطين بني مرين على تدعيم النهضة التعليمية في دولتهم بإنشاء المكتبات الازمة، والتي تساير تلك النهضة التعليمية في البلاد، ولتكون ركائز قوية للحركة الثقافية التي عمت الربوع المغربية في هذا العصر، ولقد كانت هذه المكتبات تشمل جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفاسيره ومن كتب الحديث وشروحاته كالتهذيب والاستذكار وكتب الأصول الفروع واللغة العربية والأدب وغير ذلك، ومن المدرسة انتقلت فكرة المكتبة إلى المساجد وبعض المؤسسات الاخرى كالربط والخوانق وأعظمها ما كان في قصر السلطان[1].

وإذا كانت خزائن دور العلم أول مكتبات جامعية في تاريخ المغرب الاسلامي إلا أن فكرة إنشاء دار مستقلة للكتب لم تكن معروفة حتى أواخر العصر المارينى[2].

كما حرص بنوا رستم على تأسيس مكتبة ضخمة أطلق عليها اسم "المعصومة" حوت ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون والآداب وقد قام الشيعة بحرقها لتدمير كل أثر للفكر الإباضي المعادي لهم وذلك حين استلائهم على تيهرت ، ولم يتركوا في هذه الكتب إلا ما يتعلق منها بالرياضيات والهندسة والطب كما وجدت مكتبة في جبل نفوسة وكانت تحتوى آلافا من مجلدات العلوم.

ولم ينحصر إنشاء المكتبات العامة على العاصمة فاس وحدها كما هو ظاهر بل تعداه إلى بعض المدن المغربية والأخرى مثل مدينة سبتة والتي كانت لها شهرة خاصة بكثرة الكتب.

ومما تقدم يمكن أن نقول أن المكتبات بأنواعها كانت من المؤسسات العلمية الاساسية لتي اسهمت في تغذية التربية الاسلامية بين ابناء المجتمع المغربي. كما أنه يرجع الفضل إلى هذه المكتبات في صيانة الكثير من تراث الاسلام الفكري في ربوع المغرب، ولا زالت مكتبة القرويين بفاس وغيرها من المدن الأخرى تحوى بين أركانها نفائس غالية من ثروة الإسلام العلمية[3].

---

(1) عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، القاهرة، 1965م، ص 64.

(2) محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 55.

(3) محمد عبد الرحيم غنيمة: الجامعات، ص 288.

المبحث الرابع: مساكن الطلبة

- لقد تم تخصيص مساكن للطلبة، حتى يتحقق لهم الانقطاع للعلم والتفرغ للتحصيل والدرس، وكان هذا النظام خير ما يمكن أن يقدم للطلاب هؤلاء فيهم الكثير من الغرباء النازحين من مختلف الأقاليم المغربية لطلب العلم.
- وقد كان تأسيس المدارس النظامية في فاس وغيرها من مدن المغرب الفضل السبق لإنتشار المساكن الملحقة بالمدارس حيثما سارت الحركة المدرسية في ربوع المغرب فقد كانت المدارس مساكن للطلاب، كما كانت أماكن للتعليم حيث إعتمدت في تصميمها المعماري على قاعة كبيرة للدرس اصطفت على جوانبها غرف الطلبة أو قاعة للنوم في بعض الأحيان من طابقين يتوسطهما صحن مكشوف وقد تضمنت مصلى صغير لتؤدي فيه الصلوات وقد كانت هذه المدارس تقدم للطلاب الغرباء غرفة لكل طالب، فقد كان في بعض هذه المدارس ما يزيد على مائة غرفة، فقد احتوت المدرسة المصباحية بفاس على مائة وسبع عشرة غرفة[1].

ولقد كانت الغرفة الواحدة لطالبين أو حتى لثلاثة من الطلبة، ولم تكن تضيق بهم.

وكانت مساكن الطلبة هذه جميلة المعمار أنيقة البناء مزخرفة بالنقش العربي، تتوافر فيها أسباب الراحة والصحة ولا يتكلف الطالب نظير كل هذا أي شيء مادي[2].

كما كانت تلك المساكن الطلابية تقدم لنزلائها من الطلبة المؤن والثياب طيلة مدة إقامتهم بها وكانت الاوقاف الخيرية هي التي تتحمل تلك النفقات.

---

[1] جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، الجزء الثاني، تونس، 1978م، ص 241.

[2] عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة، ص 57.

ولم تكن مساكن الطلبة هذه مقصورة على الطلاب فحسب وإنما كان يقيم بها ايضا بعض العلماء والأساتذة والمدرسين ولم يكن من الضروري أن يقيم الاستاذ بالمدرسة التي يقوم بالتدريس فيها فقد يكون سكنه بمدرسة وتدريسه بأخرى غيرها[1].

وكان يقوم بالخدمة داخل تلك المدارس ومساكن الطلبة الملحقة بها طائفة من صغار الموظفين والخدمة الذين كانوا باسم القومة والفراشين[2] التي كانت مهمتهم تنحصر في خدمة تلك الأماكن وإيقاد مصابيحها وتنظيفها. أما المدة المحددة لسكنى الطلبة في تلك المساكن الطلابية والتي تشبه إلى حد كبير المساكن الجامعية في أيامنا هذه فقد كانت ستة عشرة سنة بينما كانت في تونس خمس سنوات فقط[3].

---

[1] محمد عبد الرحيم غنيمة: الجامعات، ص 281-282.

[2] عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة، ص 282.

[3] ابن خلدون: المقدمة، ص398.

المبحث الخامس: عمارة المؤسسات التعليمية ومواردها المالية

1- عمارة المؤسسات التعليمية:

- عمارة المدرسة: قام تصميم المدرسة في المغرب على مستطيل يتوسطه صحن[1] مكشوف به حوض كبير للماء، وفي أحد الضلعين القصيرين تقوم قاعة التدريس، وحول الضلعين الطويلين تقوم مساكن الطلبة، كما تضمنت مصلى صغير لتؤدي فيه الصلوات [2].

وكذا جاء تصميم المدرسة يختلف اختلافا بينا عن المسجد لاختلاف الغاية التي قام من أجلها كل منهما فقد روعيت فيها الاغراض التعلمية واعتبرت عنصرا أساسيا في تكوينها المعمارين كما جاءت المدرسة المغربية مختلفة اختلافا بينا ايضا عن المدرسة في المشرق حيث اعتمدت الأولى على قاعة واحدة للتدريس لكن في المشرق اعتمدت على قاعتين أو أربعة قاعات، والسبب في ذلك يرجع إلى ان أهل المغرب كلهم تقريبا يتبعون مذهب الإمام مالك[3].

ولهذا لم تكن هنالك حاجة إلى قاعات أخرى لتدريس مذاهب أخرى وتميزت بعض المدارس بإتساعها فقد احتوت المدرسة المصباحية على مائة وسبع عشرة غرفة وتحتفظ بمظلة جميلة من الخشب المنقوش، كما تمتاز بأناقة دهليزها ومدخل مصلاها[4].

ويؤكد ابن مرزوق، وهو شاهد عيان أن مدارس بني مرين بصفة عامة كانت آية في فن البناء والعمارة حيث اشتملت عناصر عمارتها على كل ما هو جديد ومتطور سواء كان ذلك خاص بالبناء والنقش والزخرفة أو الفرش أو اختلاف أنواعه من الخزف والرخام والخشب المحكم النقش، وتمثل المدرسة العنانية التي أسست سنة (750هـ-

---

(1) الصحن: وهو الجزء غير المسقوف الذي يلي بيت الصلاة وقد ترك دون سقف ليساعد على وصول الضوء في بيت الصلاة خاصة إذا كان هذا البيت كبيرا وعميقا، وتتحدد فيه الأساكيب كما أنه يتوسط المساحة التي يقام عليها المسجد الجامع في معظم الأحيان (محمد توفيق بلغ) : المسجد في الاسلام، ص 340.

(2) جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، جزء 2، ص 241.

(3) انفرديل: الفرق الاسلامية، ص 322.

(4) جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، الجزء 2، ص241.

1349م) بداية مرحلة انطلاق جديدة في فن العمارة، وتعتبر النموذج الصادق للفن المميز للعمارة المرينية[1] الذي تم بالنقش على الجيص والخشب ولا يترك موضع في الجدران أو السقوف أو الأبواب إلا ونقشوه.

كما بالغوا في زخرفة الارضيات، وصقل الحوائط[2] بالزليج المختلف الألوان، واستخدموا أيضا الرخام بجميع الوانه، وهذه المدرسة العنانية التي استغرق بنائها سبعة سنين كانت ذات باب خشبي مصفح بالبرونز المتقن الصنع، ويؤدي مصرعاه إلى مدخل بدرجات حافتها من الخزف، أما صحن المدرسة الفسيح فمغطى بالرخام الأبيض والوردي، وتضيء كوى بلورية المصلى المكّون من بلاطين تميزتا بدقة أطرافهما الهندسية المتداخلة على أكمل وجه كما كانت له ميضاء رائعة الصورة[3] وقد تميزت تلك المدرسة العنانية دون غيرها من المدارس بالقاعات الكبيرة بحيث تكون للمحضرات فقط، فلم تكن أماكن إقامة للطلبة فحسب، بل معهدا خاصا بالتعليم، كما تميز تلك المدرسة بمنارتها (مأذنتها ومنبرها) مما يثبت أن صلاة الجمعة كانت تقام فيها ويبدوا أن هذا النمط الجديد في بناء المدرسة إتخذ نقلا عن مدارس الشرق في ذلك الوقت حيث كانت المدرسة مكان عبادة ودرس، ولم يميزها عن المسجد سوى مساكن الطلبة التي كانت تلحق عادة بالمدارس ليعيش بها الطلاب والمدرسون.

كما كانت المدرسة العنانية أول مدرسة في المغرب تقام بها منجانة[4] قام بصناعتها أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني سنة (758هـ-1356م)[5].

---

(1) محمد الفاسي: التعريف بالمغرب، القاهرة، 1961م، ص 47-48.

(2) الزليج: الخزف

(3) جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، جزء2 ،ص 241.

(4) المنجانة: وهي ساعة كبيرة تتوسط الفناء لمعرفة الوقت.

(5) محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص59.

- عمارة المسجد: يعد المسجد الجامع في قرطبة[1] المنبع الرئيسي الذي تشبعت منه فنون الاسلام في الاندلس والمغرب في عصوره المختلفة ولهذا اصبح هذا الجامع المثل الأعلى لمساجد الأندلس والمغرب ولم يختلف هذا المسجد عن المساجد الجامعة الأخرى في العالم الاسلامي التي تميزت عن المساجد الخاصة أو غير الجامعة بعناصره المعمارية الرئيسية التي التزم بها لمسلمون، وهي بيت الصلاة[2] الصحن، والمحنيات [3] بالاضافة إلى عناصر أخرى كالمأذنة والمنبر الذي يصنع من الخشب أو الرخام ويعد المسجد الجامع في تازة الذي أنشء سنة (693هـ -1293م) من أصدق الأمثلة للفن المعماري الذي يتميز بقبته ذات المقرنصات الرائعة والزخرفة التي تتسم برقة الأشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والزليجيات، كما يعد مسجد العباد بالقرب من الولي الصاح ابي مدين شعيب، متحفا للعمارة الاسلامية حيث زين الزليج ومصلاه تتكون من خمس بلاطات، وثلاثة صفوف، وجدرانه وصقوفه ذات التربيعات مزخرفة بطلاء من الجص المنقوش ومحرابه عبارة عن فجوة ذات زاويا منظمة، قوسها محمول على أسطوانيتين لكل منها تاج أنيق ويحف بصحن المسجد رواق ذو دعائم منشورية الشكل، أما المأذنة بالأجر المشبك والمخزف[4]

---

[1] المسجد الجامع: بناه الأمير عبد الرحمان بن معاوية في سنة 169هـ واتخذ صورته النهائية بزيارة المنصور بن عامر في سنة 377هـ، ولقد طبق عرفاء البناء بجانب قرطبة النظام التخطيطي للجامع الاقصى الذي أعاد الوليد إبن عبد الملك بناءه في سنة 87هـ (السيد عبد العزيز سالم: العمارة الاسلامية في الاندلس و تطورها، م 8، ع 1، 1977م، ص 92-93).

[2] بيت الصلاة: هو المكان المسقوف الذي يصطف فيه المصلون خلف الامام لأداء الفريضة، ويعتبر هذا البيت من أهم أجزاء المسجد الجامع إذا إن لم يكن أهمها جميعا ويرتفع سقفه عادة فوق العقود التي تحملها الاعمدة أو الدعائم التي خطت في صفوف متوازية ومنتظمة تحصر ما بينها ما يعرف بالأساكيب وهي الممرات الموازية لجدار القبلة الذي يتوسطه المحراب. (محمد توفيق بلبغ المسجد في الاسلام ، ص 340).

[3] المحنيات: وهي الأروقة المسقوفة التي تحيط بالصحن، من جهاته الثلاثة الأخرى غير بيت الصلاة وكانت بدورها تتكون من رواق واحد أو أكثر، وإذا كان بيت الصلاة هو المكان الاصلي المخصص لصفوف المصلين إلى أن المحنيات كانت بدورها تستخدم في كثير من الأحيان لنفس الغرض لا سيما في كثرة عدد المصلين (محمد توفيق بلبغ: المسجد في الاسلام، ص 340-341.).

[4] جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، الجزء2، ص 239-240.

وكما اهتم سلاطين الدول التي مرت على المغرب ببناء المساجد الجديدة اهتموا أيضا بترميم المساجد القديمة واصلاحها وتزويدها باحتياجاتها وقد تم اصلاح العديد من المساجد منها مسجد القرويين ومسجد الأندلس[1].

2- مواردها المالية:

كان للتعليم عدة موارد يستمد منها المال الازم الذي يغطي نفقات تلك النهضة التعليمية التي شملت ربوع المغرب ويمكن حصر مصادر الأموال الخاصة بالتعليم في موردين أساسيين: أولا الأوقاف وثانيا الهبات والاعانات. وإلى جانب ذلك كانت أموال الجزية توجه أحيانا للإنفاق منها على المؤسسات التعليمية.

أ- الأوقاف:

وتسمى ايضا الاحباس وهي أهم موارد التعليم في ذلك العصر على الاطلاق، وأكثرها دخلا وإضرارا. وإليها يرجع الفضل في بقائه واستمراره وانتظام الحياة العلمية والدراسية في معاهد التعليم في المغرب حيث بنيت المدارس ورتبت فيها الطلبة واجريت لهم المرتبات في كل شهر، وأقيمت المساجد، وانشئت المستشفيات، وأجريت عليها النفقات وخصص لهم الأطباء وبنيت الزوايا في الخلوات وأوقف لها الاوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات والانفاق على كل هذه المؤسسات الهامة.

ب- الهبات والاعانات:

وتتصدر هذا المورد هذا المورد الهام لأهل العلم عطاءات الأسرة الحاكمة آنذاك حيث كان السلاطين والأمراء يقدمون المكافآت والهبات لأهل العلم خاصة أولئك الذين يقدمون القصائد والمدائح يشيدون فيها بفضائل وخصائل السلاطين وانتصاراتهم في حروبهم وغزواتهم، ولا تنحصر الهبات والإعانات والصدقات على أهل البيت فقط بل كان هناك الكثير من أهل الخير المحبين للعلم واهله الذين كانوا يجودون بأموالهم تشجيعا وعونا لأهل العلم على مطالب الحياة.

---

[1] ابن أبي زرع: "الأنيس المطرب"، ص 110.

كما كان بعض المدرسين يأخذون أجورا من طلبتهم على تعليمهم وكثيرا ما كانت الحكومة تنفق أموال الجزية على التعليم وخاصة التعليم الطبي في المستشفيات[1] .

[1] محمد عادل عبد العزيز، التربية الاسلامية في المغرب، ص64-65.

الفصل الثالث: أثر التعليم على الحياة الثقافية في المغرب الاسلامي

المبحث الأول: ازدهار العلوم النقلية

1- علم التفسير.

2- القراءات وعلوم القرآن ورسم المصحف

3- الفقه وعلوم الحديث

4- علم التاريخ

المبحث الثاني: تطور العلوم العربية

1- الأدب (نثر وشعر).

2- اللغة

المبحث الأول: ازدهار العلوم النقلية.

1- علم التفسير:

وهو علم يعرف به نزول الآيات، وشؤونها ، وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها، ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها و حرامها ، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وأمثالها وعبرها [1] وقد سار علماء المسلمين في أول الأمر في اتجاه التفسير بالمأثور ، وهو الاعتماد في التفسير على ما أثر عن رسول الله (ص) وصحابته الكرام رضى الله تعالى عنهم: وبعد ذلك ظهر اتجاه أخر في التفسير وهو التفسير بالرأي فمنهم من أصاب ومنهم من لم يوفق وأشهر المفسرين الذين ظهروا في الأندلس هو أبي عبد الرحمان بقي بن مخلد المتوفي سنة 276هـ وأبو محمد مكي بن ابي طالب توفي 437هـ الذي كتب تفسيره المسمى (الهداية) و هو من عشرة أسفار ويعرف أيضا باسم تفسير القرطبي(2).

كان اهتمام الناس بالتفسير كبير، فمعظم سكان المغرب يريدون شرح ألفاظ القران الكريم وتفسير آياته بلغتهم خاصة المتعلقة بالأركان الخمسة كالصلاة والصوم ، والزكاة والحج وغيرها فكان التفسير ترجمة الألفاظ إلى البربرية ليفهمها العامة ومن أبرز المفسرين الرستميين في ذلك الوقت نذكر منهم:

عبد الرحمان بن رستم: كان في طليعة المؤلفين في التفسير.

محمد بن يانس الذي أرسلته قبيلة نفوسة بدعوى من الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمان ليناظر المعتزلة في تيهرت لاطلاعه بعلم التفسير ودرايته لكبيرة فيه.

---

(1) التهناوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق د. لطفي عبد البديع، القاهرة،1963م،ص33.

(2) محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب،ص73.

2- القراءات وعلوم القرآن ورسم المصحف:

أ- علم القراءات:

وهو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ويعتبر هذا العلم من أول العلوم التي إهتم بها المسلمون غير أنهم اختلفوا في عدد القراءات، فبعضهم جعلها سبع قراءات وبعضهم جعلها أكثر غير أن الراجح هو سبع قراءات[1] وقد كان علم القراءات صورة مطابقة للقراءات [2] في الشرق ولكن بحلول القرن الخامس هجري أصبح لهاذا العلم في الأندلس شخصية متميزة على عدد من علماء الأندلس وهذا ما يمكن أن نفهمه من كلام بن خلدون حيث يقول: " ولم يزال القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها، إلى أن كتبت العلوم ودونت وصارت صناعة منصوصة وعلم مفردا، وتناقله الناس بالشرق والأندلس جيلا بعد جيل".

ومن الذين برزوا في هذا العلم، أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن الصقر الانصاري الخزرجي الذي كان مقرئا ومجودا[3].

ب- علوم القران:

وهو علم يتكون من عدة مباحث تتعلق بالقران الكريم من ناحية نزوله وجمعه وترتيب سوره وبيان الوجوه التي نزل عليها وأسباب النزول، وشرح غريبه ودفع الشبهات عنه، وكل ما يختص به.

ولعل السر في أن العلماء سموا هذا العلم بصيغة الجمع علوم القرآن وليس بصفة الافراد هو رغبتهم في الاشارة لهذه التسمية إلا أن كل مبحث من مباحثه جدير بأن يكون علما قائما بذاته إذا جمعت مادته على سبيل الاستيعاب والاستقصاء وترجع مباحث هذا العلم في جملتها إلى مصادر ثلاث كانت كلها معروفة للمسلمين الاوائل في صدر الاسلام، وهي ترجع إلى لغتهم العربية، وإلى الوحي من الله تعالى، وإلى أحداث وقعت على مسامعهم واعينهم.

---

[1] عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1978م، ص 169-170.

[2] هذه الطرق في القراءة نسبت إلى من اشتهر بروايتها الذين نسبت قراءاتهم لأسمائهم وكان على رأس هؤلاء سبعة قراء نافع، ابن كثير، ابن عامر، وأبو عمر، وحمزة، والكسائي: وعاصم، فقه اللغة ص 118.

[3] محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 80.

لقد قام الصحابة – رضي الله عنهم- برواية بعض الابحاث فيها ما يخص هذا العلم لكن لم يدونوها وظل الأمر على هذا الحال يتناقله الرواة طبقة عن طبقة دون أن يدونوها حتى ظهر خلال القرن الثاني هجري عدد قليل من المؤلفات في هذه الأبحاث، كالذي يروى عن قتادة بن دعامة السدوس المتوفي سنة 118هـ من أنه كتب مؤلفا في الناسخ والمنسوخ[1].

ج- رسم المصحف:

هو فن يبحث في أوضاع حروف القرآن الكريم في المصحف ورسومه الخطية، وقد برز البعض في فن رسم المصحف في المغرب أب عمر الداني، والذي كان من أشهر مؤلفاته في فن رسم المصحف كتابه (المقنع) ثم افرغ أبو القاسم الشاطبي محتويات هذا الكتاب في قصيدته المشهورة (الشاطبية)، ولقد تم رسم عدد كبير من المصاحف الشريفة النادرة بفضل هذا الفن الذي أخذ مع مرور الزمن لون من الخط الأندلسي نظرا لهجرة كثير من العلماء الأندلسيين في تلك الفترة إلى بلاد المغرب نتيجة لظروف الأندلس الطاحنة ولترحيب السلاطين آنذاك بهؤلاء العلماء واستخدامهم في الوظائف الحكومية على امتداد دولتهم كما اهتم السلاطين كذلك بالشكل الخارجي للمصحف حيث صنع للبعض منها غلاف بديع الصنع استكثر فيه من معلاق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت وجعلت منها حصاة في الوسط تفوق الحصوات الاخرى مقدارا وشكلا وحسننا[2].

3- الفقه وعلوم الحديث

أ- الفقه:

ويسمى بعلم الدراية وهو معرفة النفس ما لها وما عليها وتعني كلمة الفقه في اللغة العلم بالشيء والفهم له[3].

---

(1) محمد عادل عبد العزيز: المرجع نفسه، ص 85-86.

(2) محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 83.

(3) محمدي عبد المنعم محمد حسون: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997م، ص 397.

ولقد اشتهر نخبة من علماء الفقه في عهد الدولة الرستمية فكانت لهم الشهرة وهم قليلون وعلماء الاباضية وهم أكثر ونذكر منهم:

- أبو الفضل أحمد بن القاسم: وقد روي عنه أبو عمر بن عبد الرصاص الشيعي.
- الشيخ أبو سهل كان أفضل اهل زمانه في اللسان البربري .
- القاضي أبو عبد الله محمد عبد الله بن الشيخ.

ومن فقهاء المالكية وفقهاء أهل السنة أشهرهم ابن الصغير.

كذلك قاسم بن عبد الرحمان، الفضل بن سلمى البياني: توفي سنة 319هـ كان حافظا فقيها أخذ عن شيوخ بلده ثم رحل إلى إفريقية فأخذ منها عن أحمد بن سلمان كما جالسه طبقة من العلماء فذاع صيته فتوافد الناس إليه للأخذ منه فانتفعوا به وتخرج على يده عدد كبير من ذوي المنزلة العلمية منهم ولده أبو سلمى، محمد بن عبد الملك الخولاني

ب- علم الحديث:

هو علم تعرف به أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله من قول أو فعل، أو تقرير أو صفة، وهو مرادف للسنة، كما أنه أصل من أصول التشريع الاسلامي، ومرتبة تلي مرتبة القرآن في الاستدلال[1] ويعتبر علم الحديث المصدر الثاني من مصار التشريع الاسلامي وهذا أدى إلى تعدد أساتذة الحديث ومدارسه في مختلف المراكز الثقافية في المغرب كما هو الحال في كافة بلدان العالم الاسلامي.

حيث يقول ابن عبد البر القرطبي المتوفي سنة (463هـ- 1070م): أن أول ما نظر فيه الطالب وعنى به العالم بعد كتاب الله عز وجل، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي المنبئة لمراد الله عز وجلمن مجملات كتابه والدالة على

[1] ابن خلدون: المقدمة، ص 405-406.

حدوده والمفسرة له والهادية إلى الصراط المستقيم لذلك فقد تعدد أساتذة الحديث ومدارسه في مختلف مراكز الثقافة في المغرب الاسلامي منذ وقت مبكر، واشتهر من هؤلاء عدد كبير ولم يكن هذا التعدد إلا بعد ظهور المرابطين [1].

لم تعتني الدولة الرستمية كثيرا بهذا العلم حيث لا نجد عنهم مصنفات في ذلك إلا البعض ولم تصلنا عنها معلومات كثيرة وقد كان عمروس بن فتح وأبا عبيدة الأعرج ممن أهتموا بالحديث ورجالاته ولا يعرف عنها الكثير بسبب إعتمادهم على مؤلفات الحديث لعلماء إباضية المشرق ونذكر منهم الربيع بن حبيب الأزدي الفرهيدي العماني وهو أحد علماء القرن 2 هـ كان رئيس الاباضية في البصرة، عاصر الامام محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان وهذا المستند كان محتويات مكتبة المعصومة بتيهرت.

أما عن علماء الحديث في تيهرت من غير الإباضية فهناك العديد من الحفاظ والرواة ومن أبرزهم.

- بكر بن حماد: أبرز علماء الحديث وهو من علماء المالكية روى عن القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن.
- قاسم بن أصبح وقاسم بن عبد الرحمان التميمي.

4- علم التاريخ:

تأثرت الكتابة التاريخية في المغرب بالكتابة الأندلسية للتاريخ. وقد كان التاريخ الأندلسي في مظهره وأسلوبه تاريخيا عربيا اسلاميا، يسلك مسلك المشارقة في منهجه وروايته، فهناك طريقة الحوليات أي الكتابة على ترتيب السنين، وهناك تواريخ الخلفاء والملوك، وهناك كتب التراجم والطبقات وما يتبعها من ذيول وصلات، هذا إلى جانب تواريخ المدن المحلية التي فاق الأندلسيون فيها إخوانهم المشارقة، ولعل ذلك يرجع إلى ظاهرة اللامركزية التي تميزت بها طبيعة الأندلس والمغرب، كذلك اتبع في معالجة تاريخهم تلك الطرق التي اتبعها إخوانهم المشارقة أيضا والتي تقوم على

---

[1] ابن الابار: المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق ابراهيم الابياري، القاهرة، 1975م، ص

النقل والاقتباس، أو المشاهدة العينية وتحري الحقائق في جميع المعلومات أو الاستعانة بالوثائق والمراسلات والآثار المادية، أو على تحليل الأحداث والتعرف على عللها والنفاذ إلى أسرارها[1].

ومن المؤرخون الذين عايشوا تلك الفترة عبد الرحمان بن علي الصقر الذي سكن مدينة مراكش توفي سنة (523هـ 1128م) حيث صنف عدة كتب تاريخية منها مختصر السير والمغازي من سير بن اسحاق ومختصر تاريخ بن جعفر الطبري في سفر متوسط، ومختصر سير المعطلقي لابي محمد عبد الملك بن محمد الخرساني الواعظ.

وأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، صاحب كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) المتوفي سنة (541هـ/1146م) وكتابه هذا بين كتب التاريخ والأدب والقيمة الشهيرة في عصرنا الحاضر.

ومن المؤرخين الذين أرخو للدولة المرابطية يحي بن محمد يوسف الانصاري الصيرفي المتوفي بغرناطة سنة (557هـ/1161م)[2] والذي صنف كتابه المسمى "الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية" وكتاب "قصص الأنباء وسياسة الرؤساء" والمؤرخ الكبير ابن شكوان صاحب كتاب الصلة الذي فرغ من تأليفه سنة (543هـ/1139م) [3].

---

[1] محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 110.

[2] ابن سعيد: المغرب في حل المغرب، ج03، ص118.

[3] محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، ص 117.

المبحث الثاني: تتطور العلوم العربية

ومن العوامل التي كان لها عظيم الاثر في تطور العلوم أو بالأحرى النهضة العلمية التي شاهدها المغرب خلال الفترة موضوع الاهتمام فإنه لا يمكن ان ننسى الدور الكبير التي أدته الرحلات العلمية في إثراء تلك النهضة[1].

ومن أبرز من ارتحلوا في طلب العلم من علماء وأدباء واطباء المغرب في الفترة الزمنية موضوع بحثنا نذكر منهم: أبو خالد، عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافرى السفياني قاضي إفريقية في وقته (ت 161هـ) فقد رحل إلى المشرق طالبا للحديث فروى هناك عن جماعة من التابعين ثم " سمع من سفيان الثوري أحد أشهر العلماء العراقيين في وقته وأحد أصحاب المذاهب[2] ومنهم كذلك: علي بن زياد العبسي التونسي أبو الحسن أعجمي الأصل، طرابلسي المنشأ، وقد رحل على بن زياد إلى المشرق أو سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري ويقول المالكي هو أول من أدخل المغرب "جامع سفيان الثوري"[3].

ومن أبرز رحلات رجال القرنين الثاني والثالث وأعظمهما تأثيرا رحلة أسد بن الفرات وسحنون بن سعيد وإليهما ينسب تقدم الدراسات الفقهية في إفريقية حتى أصبح للمغرب الأدنى مدرسة في الفقه – المالكي – لا تنافس بل هي أشهر مدارس المذهب المالكي الفقهية بعد مدرسة المدينة [4].

1- الأدب:

هو علم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها وإنما المقصود منه ثمرته وهي الاجادة في المنظومة والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم [5]ولقد شهد المغرب الاسلامي تطور وتفتح كبير في العلوم الأدبية لا سيما النثر وذلك بفضل تحويل نخبة من فرسان البلاغة والفصاحة الأندلسيين إلى المغرب ومن أشهر أدباء الأندلس وكتابها الذين خدموا

---

(1) يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية، ص 114.

(2) يوسف بن أحمدالمرجع نفسه، ص 132.

(3) عواطف يوسف نواب: الرحلات المغربية والاندلسية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 19960 م ص 82.

(4) محمد أحمد بن شقرون: مظاهر الثقافة العربية، دار الثقافة العربية، المغرب: 1985م، ص 100.

(5) بن خلدون: المقدمة، ص 524.

في بلاط مراكش، كذلك بن القصير، محمد بن سليمان: الكلاعي الاشبيلي الذي كان أحد رجال الفصاحة والعديد من الأدباء الأندلسيين هؤلاء تخرجت على أيديهم نخبة من أبناء المغرب ممن تصدوا لهذا الفن وبلغو فيه شأنا كبيرا كأحمد بن أبي جعفر محمد بن عطية القضاعي.

ولقد كانت حركة النثر عامة تميل إلى شيء من التكليف الذي يكمن في الاسهاب وذكر الألقاب السلطانية لا سيما في الرسائل الديوانية إلا أن النثر في عصر بني مرين كان يمتاز بروعة الأسلوب والمعنى[1].

أما بالنسبة للشعر فلم يكن الاهتمام به بالغا وخاصة في القرون الأولى هجري لكن بمرور الزمن أصبح الشعر يتطور تطورا جليا حيث عادت مجالس الأمراء عامرة بالشعر والمدّاحين لأن الشعر آنذاك موجة لمدح الأمراء وذكر مآثرهم والتغني بها حيث ابتعد ابتعادا كبيرا عن مغزاه الأدبي الحقيقي نذكر مثلا ازدحام بلاط أمير المسلمين على بن يوسف (المرابطي) بنخبة من أعظم شعراء الأندلس نذكر منهم الشاعر الكبير أبا العباس أحمد بن عبد الله القيس المعروف بالأعمى التليطلي الذي نظم في مدح على بن يوسف بقصيدة نذكر منها الأبيات:

ياعلى العلاء في كل يوم وما أنت بالملك سائس

يا ربيع البلاد يا غنيمة القا لم من بين مؤتل وموال

يا فريح الأيام على كل مجه ياسليل الأذواء والاقبال[2].

حيث حظى الشعراء في هذا العصر بمكانة عظيمة لدى أمراء الأسرة الحاكمة وكبار القادة وعمال الدولة على الأقاليم المختلفة، وإذا كان الأمراء موضع مديح الشعراء، فقد كان الفقهاء والقضاة و كبار علماء الدين محل احترام الشعراء لمكانتهم العالية التي كانوا يشغلونها في الدولة[3].

---

(1) محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية، ص 107

(2) محمد عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997، ص 383.

(3) محمد عبد المنعم محمد حسين، المرجع نفسه، ص 384.

وإذا كان المدح قد شاع في هذا العصر فقد شاع أيضا النقد والتندر ومن هؤلاء الهجائين أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بإبن البني وله في هجاء فقهاء المرابطين قوله:

أهل الرياء لبستموا ناموسكم كالذئب أدلج في الظلام العاتم

فملكتموا الدنيا بمذهب مالك وقسمتموا الأموال بإبن القاسم

وركبتمو شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم

ثم بمرور الزمن إزدهرت ألوان أخرى من ألوان الشعر ونذكر منها شعر الطبيعة حيث ظهر عدد كبير من الشعراء الذين نبغوا في هذا الفن الشعري، نذكر منهم ابن سارة الشنتريني وابن الزقاق وابن خفاجة البلنسي وعبد الحق بن عطية ونذكر قول أبي الحسن على بن عطية بن الزقاق يصف غرسا أغر:

وأغر مصقول الأديم تخاله برقا إذا جمع التاق رهان

يطأ الثرى متبخترا فكأنه في لحظ من في متنه نشوان

فكأن بدر التم فوق سراته حسنا وبين جفونه كيوان.

2- اللغة:

لقد اهتم المغاربة اهتماما بالغا باللغة حيث برز عدد كبير من العلماء في النحو وعلوم اللغة نذكر منهم أبا محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي النحوي (توفي 521 هـ) وكان حجة في علمه عالما متبحرا في النحو وعلوم اللغة، وكان الناس يجتمعون إليه ويقرأون عليه ومن مؤلفاته كتاب "الاقتضاب في شرح أدب الكتاب" وكتاب "التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة" وكتاب آخر في شرح الموطأ [1].

ومن أئمة اللغويين وأعلامهم في المغرب الاسلامي في القرون الأولى على بن أحمد بن خلف الأنصاري النحوي، وقد كان من أهل المعرفة بالأداب واللغة، متقدما في علم القراءات، وأبو العباس أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله

[1] محمد عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي و الحضاري والأندلسي، ص399.

المعروف بالتدميري توفي سنة 565هـ ومن مؤلفاته كتاب "نظم القرطين وظم اشعار السقطين" ومنهم أيضا أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن هشام بن غزوان الفهري وكان من أهل المعرفة بالنحو واللغة والعروض، ومن مؤلفاته "فوائد الافصاح عن شواهد الايضاح"[1].

[1] محمد عبد المنعم محمد حسين: التاريخ الساسي و الحضاري والأندلسي، ص400.

خـــاتمة

بعد هذه الجولة التعليمية في رحاب التعليم والمؤسسات التعليمية ونظامها التعليمي مع تسليط الضوء على أهم العلماء والفقهاء الذين برزو في المغرب خلال هذه الفترة التي عرف فيها المغرب انتعاشا كبيرا في الحركة التعليمية خاصة في العهد المارينى الأغاليب بعد ما كان بسيطا ومحدودا في القرون الأولى هجري، وذلك من خلال تشجيع الملوك والسلاطين آنذاك وذلك لإغراق الطلبة بالمنح والعطايا للنخبة وتقريبهم للبلاط وإدخالهم إلى مجالسهم بالإضافة إلى الإنفاق على أغلب المؤسسات التعليمية من مساجد و رباطات حتى تتمكن من أداء وظائفها على أكمل وجه.

قبل تأسيس المدارس كان التعليم في العالم الاسلامي مرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد والسبب الرئيسي الذي جعله يلعب هذا الدور التعليمي والتربوي هو أن أغلب الدراسات تهتم بتعليم وتوضيح تعاليم الاسلام من حفظ القرآن والفقه وإن الهدف الأسمى من بناء هذه المؤسسات هو نشر التعليم والثقافة من جهة وتوحيد الوحدة المذهبية من جهة أخرى.

لقد تأثر التعليم في المغرب تأثرا بالغا بالمشرق والأندلس حيث يظهر ذلك جليا في الأسس و المناهج التعليمية.

ولقد عرف النظام التعليمي حركة دؤوبة ونهوض كبير بفضل عدة عوامل أولها الفتح الذي يتميز بأنه عقائدي إضافة إلى قيام الدولة المستقلة.

الملاحق

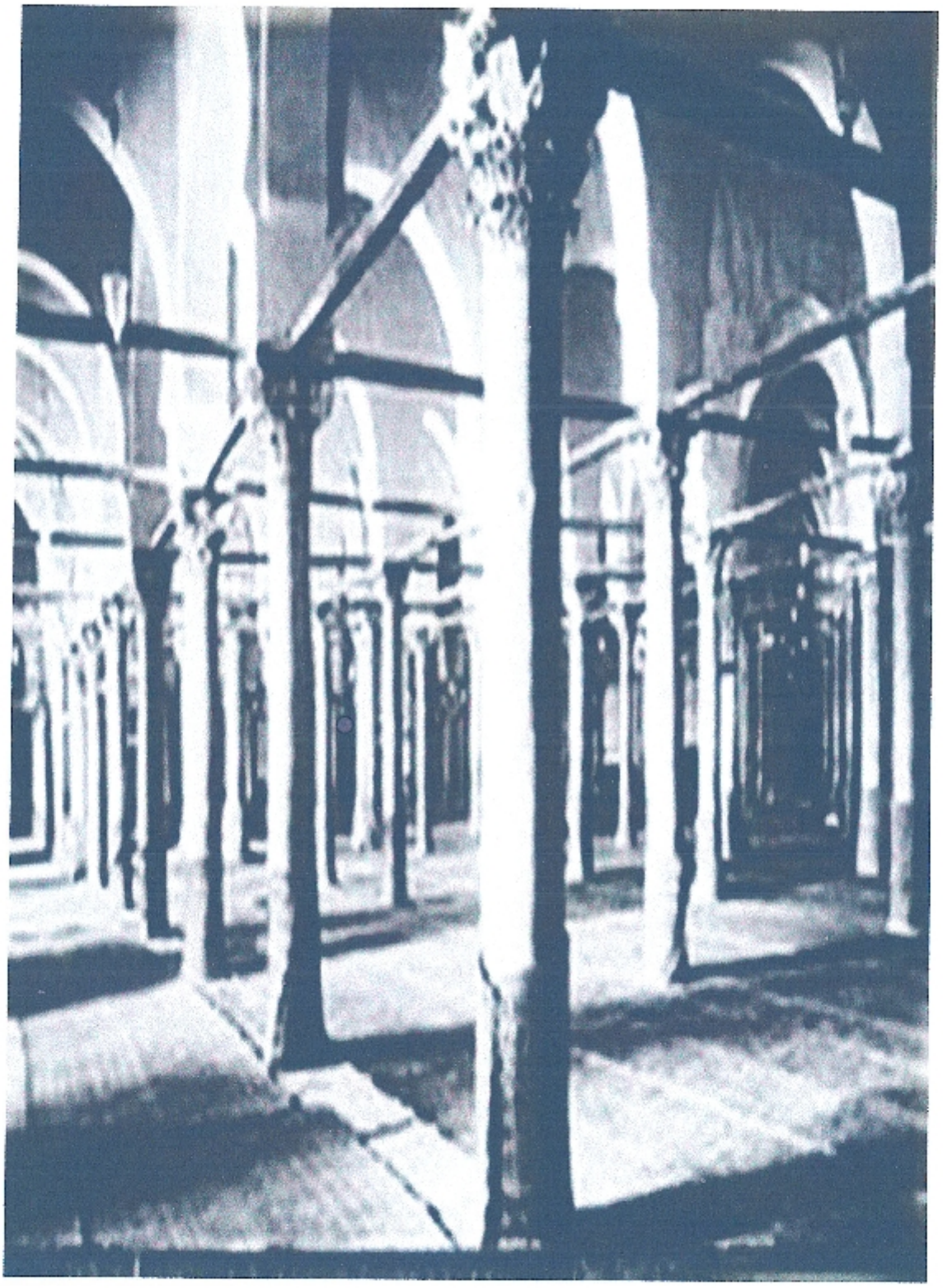

مسجد سيدي عقبة (بيت الصلاة)

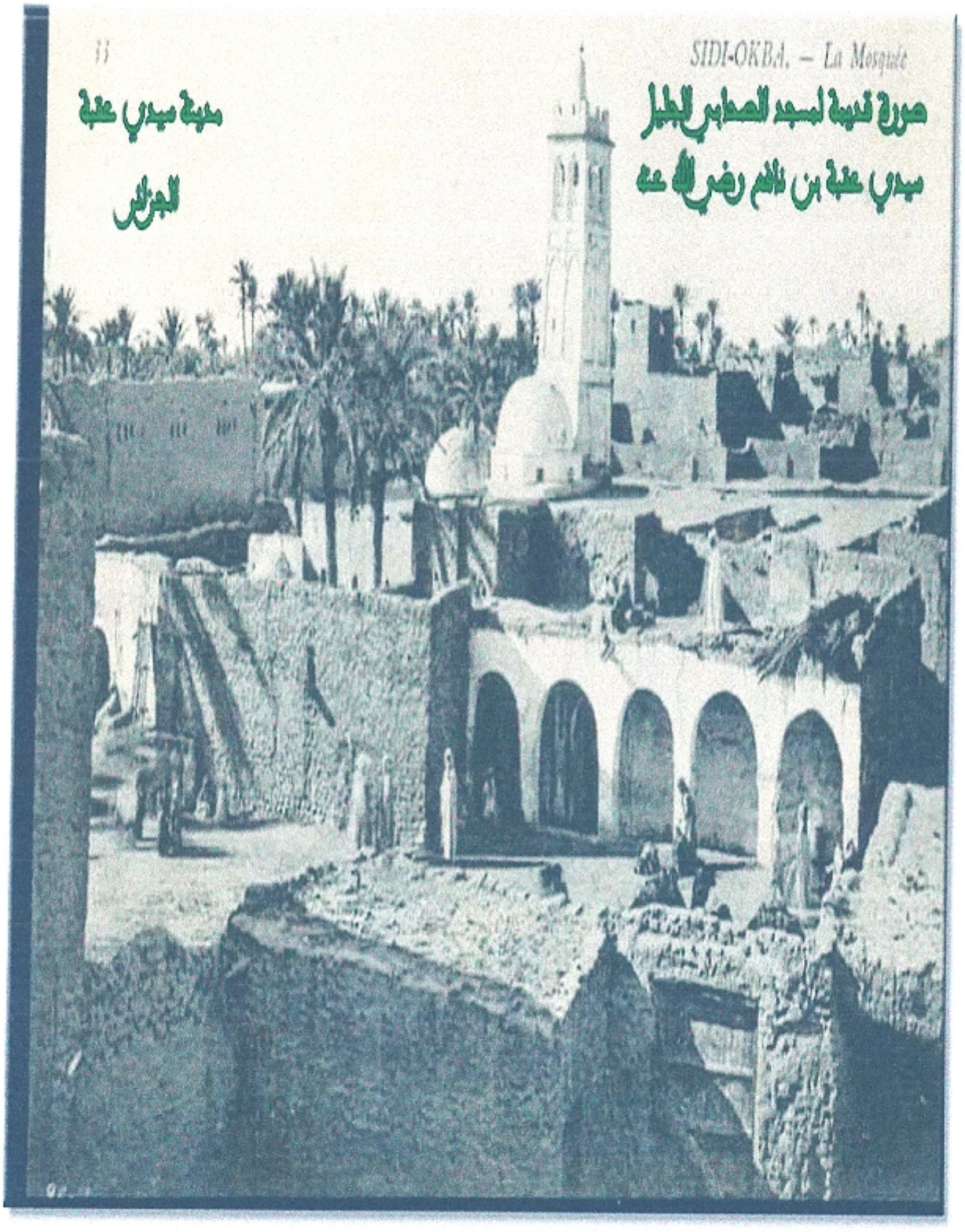

مسجد سيدي عقبة (المئذنة والضريح)

حواضر المغرب الاسلامي [1]

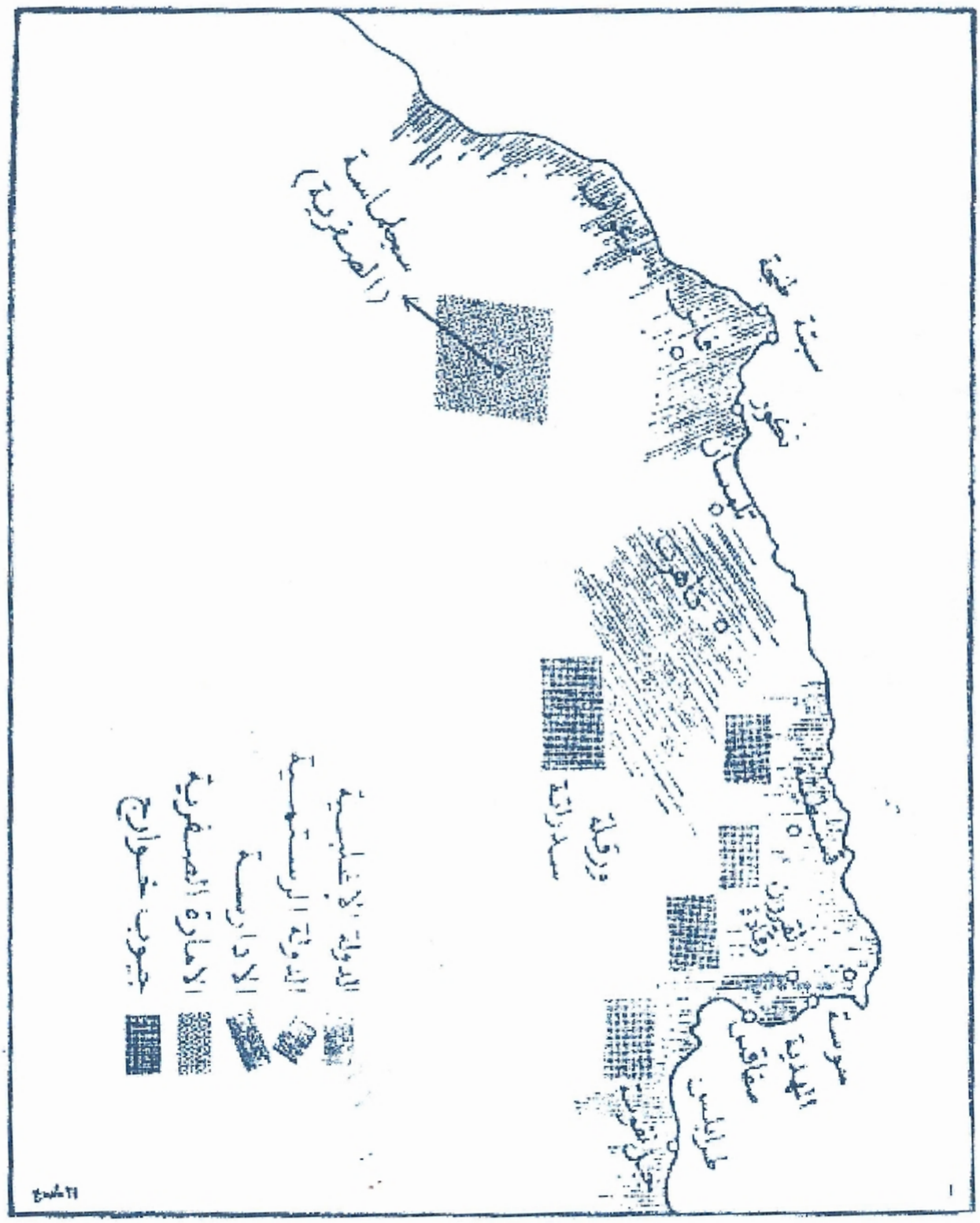

(1) موسى لقبال: المغرب الاسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 2000، ص 205.

أهم قبائل فرع البرانيس [1]

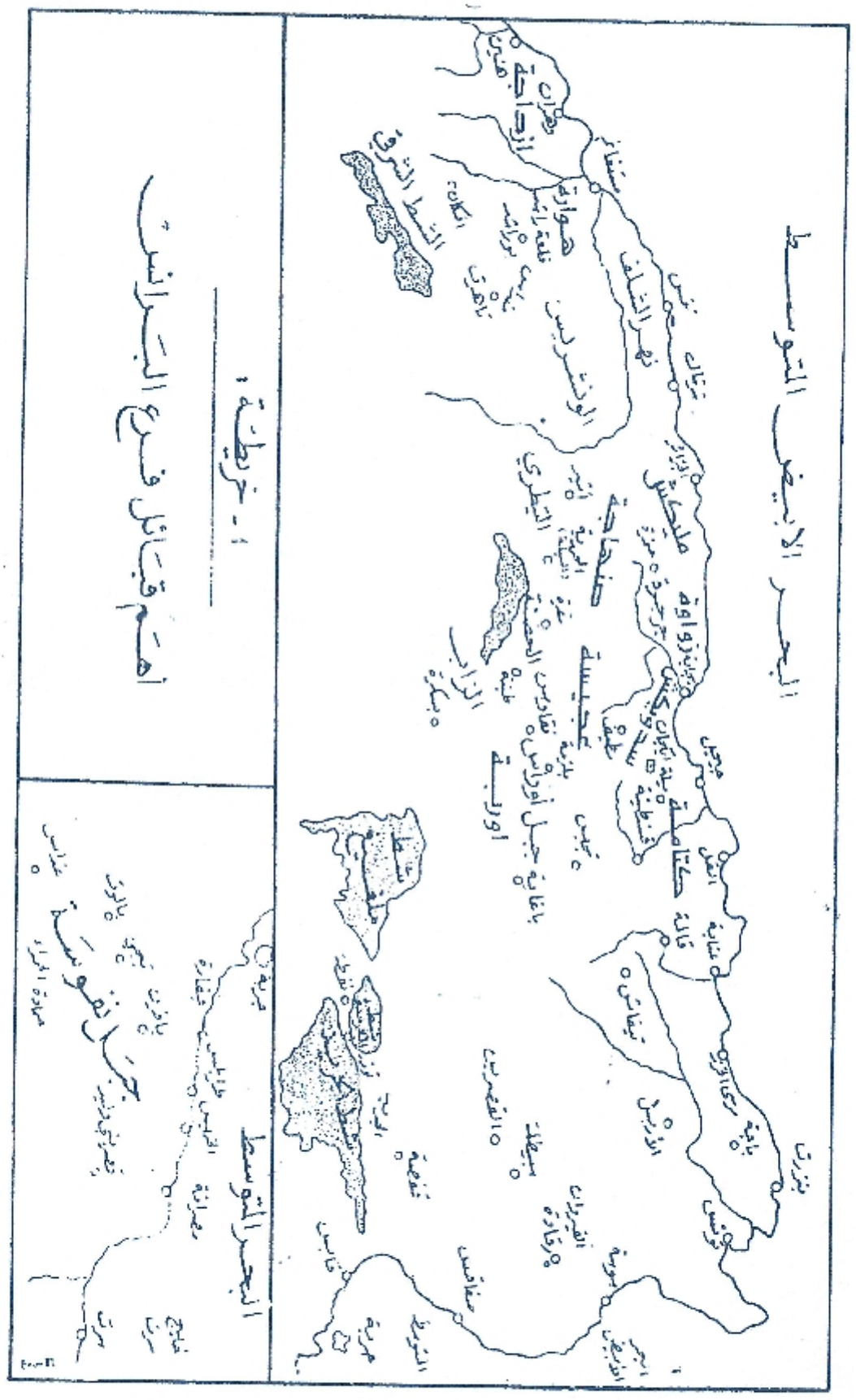

[1] موسى لقبال: المغرب الاسلامي، ص 206

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

1- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب.

2- ابن الابار: المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق ابراهيم الابياري، القاهرة، 1975م.

3- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بولاق 1284هـ)، الجزء07.

4- ابن خلدون: المقدمة (طبعة الشعب).

5- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع، ترجمة ليفي و نسال، دار الثقافة بيروت 1982م.

6- التميمي المراكشي: المعجم في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1949م.

7- التهناوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق د. لطفي عبد البديع، القاهرة،1963م.

8- الخزناجي: زهرة الأس في بنك مدينة فاس، تحقيق الفردبل، الجزائر، 1922م .

9- السمعاني، عبد الأمير شمس الدين: المذهب التربوي عند ابن جماعة.

ب- قائمة المراجع:

1- ابراهيم أحمد العدوي: بلد الجزائر تكوينها الاسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1970.

2- ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، (1965م – 386هـ).

3- ابن سعيد: المغرب في حل المغرب، ج03.

4- ابن منظور: لسان العرب، القاهرة، 1883م.

5- أبي الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الاباضية، مكتبة الاستقامة، تونس، 1973م.

6- اسماعيل سامعي :حركة التعليم في المغرب الاسلامي أبان القرنين الثالث والرابع ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسنطينة، أفريل 2002.

7- جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، الجزء الثاني، تونس، 1978م.

8- حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1980م.

9- السيد عبد العزيز سالم: العمارة الاسلامية في الاندلس و تطورها، م 8، ع 1، 1977م .

10- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1978م.

11- عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، القاهرة، 1965م.

12- عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة.

13- علي حسن الخربوطاني: أبوعبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحرينة، 1972م.

14- عواطف يوسف نواب: الرحلات المغربية والاندلسية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1960 م.

15- عياض القاضي: ترتيب المدارك، ترجمة أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1978.

16- الفرديل: الفرق الاسلامية.

17- محمد أحمد بن شقرون: مظاهر الثقافة العربية، دار الثقافة العربية، المغرب: 1985م.

18- محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، بيروت، 1957م.

19- محمد الفاسي: التعريف بالمغرب، القاهرة، 1961م.

20- محمد الفاسي: نشأة الدولة المرينية.

21- محمد توفيق بليغ : المسجد في الاسلام

22- محمد عادل عبد العزيز: التربية الاسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987.

23- محمد عبد الرحيم غنيمة: الجامعات الاسلامية.

24- محمد عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997.

25- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 3 ، الكويت 1987.

26- محمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997م

27- الماوردي: الأحكام السلطانية، القاهرة.

28- النعمان القاضي: المجالس والمسيرات، ترجمة الحبيب الفقي وابراهيم سيوح واليحلاوي ، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، 1978

29- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، ج2، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت.

الفهـرس

1- مقدمة

2- الفصل الأول: نظام التعليم المتبع ص01

المبحث الأول: برامج التعليم وموارده.....ص01

المبحث الثاني: مراحل التعليم وطرقه مع الاشراف ص03

المبحث الثالث: أنواع ووسائل التعليم وأوقاته ص08

المبحث الرابع: أسماء المدرسين والمتمدرسين.....ص10

المبحث الخامس: الامتحانات والشهادات..... ص11

3- الفصل الثاني: مراكز التعليم ص12

المبحث الأول: الكتاب والزوايا ص13

المبحث الثاني: المساجد.....ص15

المبحث الثالث: المدارس والمكتبات.....ص16

المبحث الرابع: مساكن الطلبة.....ص21

المبحث الخامس: عمارة المؤسسات التعليمية ومواردها المالية.....ص23

4- الفصل الثالث: أثر التعليم على الحياة الثقافية في المغرب الاسلامي ص28

المبحث الأول: ازدهار العلوم النقلية.....ص29

المبحث الثاني: تطور العلوم العربية.....ص35

5- خاتمة.....ص39

الملاحق.....ص40

صورة لمسجد سيدي عقبة (بيت الصلاة).....ص41

صورة لمئذنة وضريح سيدي عقبة.....ص42

خريطة تمثل أهم قبائل فرع البرانس.....ص43

خريطة تمثل حواضر المغرب الاسلامي.....ص44

قائمة المصادر والمراجع.....ص45

الفهرس.....ص48